

بحار الأنوار

[291] المعاصي، فدلّت الآية على أن منع بركات السماء والأرض بسبب الكفر والمعاصي. وهو الذي ينزل الغيث أي المطر الذي يغيثهم من الجذب ولذلك خص بالنافع منها، وقرئ ينزل على بناء الافعال والتفعيل " من بعد ما قنطوا " أي أيسوا منه، وقرئ بكسر النون في الشواذ " وينشر رحمته " أي المطر في كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان " وهو الولي " الذي يتولى عباده بإحسانه ونشر رحمته " الحميد أي المستحق للحمد على ذلك فقلت استغفروا ربكم " هذا كلام نوح عليه السلام لقومه أي اطلبوا منه المغفرة على كفركم ومعاصيكم بعد التوبة، إنه كان غفارا للتائبين، قيل: لما طال دعوتهم وتمادى إصرارهم، حبس الله عنهم القطر، أربعين سنة وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله " يرسل السماء " أي السحاب أو المظلة لكون المطر كله أو بعضه منها كما مر أو لكون أسبابه وتقديراته منها " عليكم مدرارا " أي كثير الدرور، ويستوى في هذا البناء المذكر والمؤنث " ويمددكم بأموال وبنين " أي يكثر أموالكم وأولادكم الذكور " ويجعل لكم جنات " أي بساتين في الدنيا ويجعل لكم أنهارا " تسقون بها جناتكم، والآية تدل على أن الاستغفار والتوبة موجبان لكثرة الأمطار وغازاة الأنهار، وكثرة البساتين والأشجار، فينبغي في الاستسقاء الاكثار من الاستغفار والتوبة من الذنوب. " وأن لو استقاموا على الطريقة " أي على الإيمان والأعمال الصالحة " لاسقيناهم ماء غدقا " أي كثيرا ويدل على أن منع المطر بسبب الكفر والمعاصي وأن التوبة والأعمال الصالحة توجب نزوله، ثم اعلم أن الاستسقاء هو طلب السقيا من الله تعالى عند الحاجة إليها، واستحبابه إجماعي عند علمائنا وقال في المنتهى: أجمع كل من يحفظ عنه العلم على استحباب صلاة الاستسقاء إلا أبا حنيفة، فإنه قال: ليس لها صلاة بل مجرد الدعاء